

التلوث البيئي وتوصية القرآن الكريم على محافظة البيئة

Environmental pollution and the Recommendation of the Holy Qur'an on the preservation of the environment

د. روبينة ناز

محاضرة في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

د. طاهرة جبين

أستاذة مساعدة بكلية اللغة الانجليزية، الجامعة آزاد جمون وكشمير مظفر آباد

Abstract

Environmental pollution is one of the biggest problems of the modern era and one of the most dangerous to the future of life on this planet. God Almighty created the universe on balance and order. And if man interferes in this natural balance and its resources without awareness or thinking, the result will be a total destruction. Human responsibility towards the environment means thinking, contemplating, investigating, preserving and using its resources without extravagance and waste.

Recently, scholars and environmentalists have been taking keen interest to discuss the environment and its importance and protection from pollution and destruction, but Islam has taken care of it since its appearance and the concept of environment in the Noble Qur'an is broad and comprehensive, which includes water, air, soil, minerals, climate, creatures and others. God harnessed the environment to serve people, and the Noble Qur'an encouraged its preservation and good use without neglect, demolition and destruction & mentioned all the points which today environmentalist have agreed regarding environmental issues and problems.

This research will shed light on environmental issues, strategies and solutions in the light of the Holy Qur'an. For this purpose, the article brings out the concept of environmental pollution in introductory part, elaborates the types of pollution and their damages and highlights the ways of preservation of the environment in the light of the Qur'an in subsequent parts and concludes the discussion at the end.

Keywords: The Importance of the Environment, Pollution, Strategies, Solutions, Environmental Preservation in The Light of the Holy Qur'an

المقدمة:

التلوث من أكبر مشاكل العصر الحديث ومن أكثرها خطرا على مستقبل الحياة على هذا الكوكب. وهو يضر حياة الإنسان والنبات والحيوان ويفسد البيئة الحضرية ويهلكها. خلق الله سبحانه

وتعالى الكون على التوازن والنظام. وإذا تدخل الإنسان في هذا التوازن الطبيعي وموارده دون الوعي أو التفكير أفسده تماما. ومسئولية الإنسان نحو البيئة هي التفكير والتدبر والتأمل والتحقيق فيها، والمحافظة عليها واستخدام مواردها دون الإسراف والتبذير.

قد اهتم علماء الحديث بالبيئة وأهميتها وحمايتها من التلوث والتدمير أمّا الإسلام فقد اهتم بها منذ ظهوره، ومفهوم البيئة في القرآن الكريم واسع وشامل، والتي تشمل الماء والهواء والتربة والمعادن والمناخ والكائنات وغيرها، وقد أشار القرآن إلى جميع النقاط التي اتفق عليها علماء البيئة اليوم فيما يتربط بمشكلات البيئة.

وهذا البحث سيلقي الضوء على قضايا البيئة واستراتيجياتها وحلولها في ضوء القرآني، فيشتمل هذا البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة. يتناول التمهيد مفهوم التلوث البيئي أما المبحث الأول فيناقش أنواع التلوث وأضرارها في ضوء القرآن، والمبحث الثاني فهو يلقي الضوء على محافظة البيئة في ضوء القرآن أما الخاتمة فيشتمل على أهم النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: أهمية البيئة، التلوث، استراتيجيات، الحلول، محافظة البيئة في ضوء القرآن الكريم.

مفهوم البيئة

لغة: جاء في اللسان العرب: بؤأ: باء إلى الشيء بيوء بيوء: رجع وبؤت إليه. وباء كفي: أي صار كفي له مباءة أي مرجعا، وأبأت بالمكان: أقمت به، وبؤأتك بيتا: اتخذت لك بيتا، وقيل تبوأه: أصلحه وهياه، وتبؤأ: نزل وأقام وتبؤأ المكان: حلّه، وإنه لحسن البيئة أي هيئة التبوء، والبيئة والباءة والمباءة: المنزل¹. وقد تصدر من الجذر (بؤأ) عدة مفاهيم من أهمها:

- 1 - العودة والرجوع: باء إلى الشيء، رجع.
- 2 - الإقامة والنزول: أبأت بالمكان، أقمت به.
- 3 - إصلاح المكان وتهيئته للمبيت أو السكن: تبوأه، أصلحه وهياه.
- 4 - مفهوم حسن الحال: إنه لحسن البيئة.

مفهوم البيئة في القرآن الكريم والحديث الشريف

وردت كلمة (بؤأ) في القرآن الكريم، في مواضع كثيرة، وبمعاني متنوعة منها:

1 - النزول والإقامة:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾². بمعنى الذين سكنوا المدينة من الأنصار. أي النزول في المكان. وقال الله تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾³. أي أنزلكم في

الأرض وجعلها مباءة ومساكن لكم. أي أسكنكم وأنزلكم منزلاً ربيعاً. وقال تعالى: ﴿نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾⁴ أي "ننزل منها"⁵ وأين شئنا حللنا⁶

2 - معنى الرجوع:

وقال الله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾⁷ بمعنى ترجع بإثم قلبي⁸. وقال الله تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾⁹ أي رجعوا عما كانوا فيه من الحلال الصالح¹⁰. أي رجعوا وانصرفوا محتملين غضب الله تعالى. وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ¹¹. أي ينزل منزله من النار.

فإنّ معنى اللغوي للبيئة هو المنزل أو المكان الذي يحل فيه الإنسان، ويقيم، ويدخل عليه تغييرات ليناسب نزوله فيه.

اصطلاحاً: هي (البيئة) "الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان فيتأثر به ويؤثر فيه"¹².

عند الغرب: يقابل مصطلح البيئة في اللغة الأجنبية لفظ: *environnement* في الفرنسية، و *environment* في الإنجليزية، وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة من طرف العالم الفرنسي سانت هيلر سنة 1835م ليدل به على المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية¹³. أما بعض الدراسات تقول أن هذا المصطلح قد ظهر لأول مرة في أواخر القرن التاسع عشر ليدل به على مجموع الظروف الخارجية والمؤثرة في نمو الكائنات، كما استخدم للدلالة على الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي¹⁴.

وقد ظهر في القرن العشرين مصطلح جديد عند أرنست هيكل الألماني وهو *ecology* بعد ما قام بدمج كلمتين يونانيتين هما: *oikos*، والتي تعني مسكناً ومنزلاً، و *logos* التي تعني علماً، فصار المصطلح بمعنى العلم الذي يدرس علاقة الكائنات الحية بالوسط، أو المسكن الذي تعيش فيه¹⁵.

عند العرب: قد بدأ التفكير البيئي لدى العرب مع ظهور الإسلام، وإن لم يكن بالمصطلح نفسه (البيئة) إذا كان هناك مصطلح مرادف ورد في القرآن الكريم ويدل على مفهوم أماكن معيشة الإنسان، وبقية الكائنات، وطبيعة العلاقات التي يجب أن تكون على وجه من التوازن، وهذا المصطلح هو الأرض باعتبارها موئل الإنسان، وموطنه، ومستقره، ومجاله الحيوي الذي يعيش فيه¹⁶. مثلاً قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾¹⁷. وقال الله تعالى في سورة هود: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾¹⁸، فالأرض توحى إلى معنى السكن ومكان المعيشة.

ويعد (ابن عبد ربه - 3 هـ) أول من طرح المعنى المفاهيمي للبيئة في كتابه العقد الفريد، وأشار به إلى الوسط الطبيعي الجغرافي الذي يعيش فيه الكائن الحي، كما أشار به إلى المناخ الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والفكري¹⁹. وقد اهتم العلماء العرب وأدباؤها بعناصر البيئة اهتماما واسعا، فبحثوا فيها، وقدموا معلومات قيمة، ومفاهيم بيئية متنوعة، مثل كتب الأصمعي التي تناول بها بالتفصيل أهم الحيوانات في البيئة العربية. والجاحظ الذي اعتنى بالحيوانات وخصائصها في كتابه الحيوان، ومثل موسوعة الشفاء لابن سينا التي ضمنها عديد النباتات وفوائدها في العلاج. ومثل كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني الذي ركز فيه على تأثير البيئة في الحيوانات، ويعد المجريطي أول من وضع كتابا أبرز في عنوانه كلمة البيئة، وذلك من خلال كتابه الموسوم ب (الطبيعات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية) وكذلك تحدثوا عن تأثير الطبيعة في نفوس الناس وملاحظهم.

وقد يعرف إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي البيئة على أنها "المكان الذي يعيش فيه الإنسان، وتتكون من التربة والماء والهواء والبشر، وهي تعني أيضا كل العناصر الطبيعية والحياتية التي تتواجد حول سطح الكرة الأرضية وعليها"²⁰. وتعرفها سوزان أحمد أبو رية على أنها "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر"²¹.

مفهوم التلوث

التلوث يعني الدنس والفساد والنجس²². وفي معجم الوسيط تلوث الماء أو الهواء إذا خالطه بمواد غريبة ضارة²³. وتلويث الشيء هو تغيير للحالة الطبيعية التي هو عليها بخلطها بما ليس من ماهيتها²⁴. والتلوث البيئي "هو كل تغير كمي أو كيميائي في مكونات البيئة الحية وغير الحية ولا تقدر الأنظمة البيئية على استيعابه دون أن يختل توازنها"²⁵. فهو قيام الإنسان بطريق مباشرة أو غير مباشرة بالأضرار بالبيئة الطبيعية والكائنات الحية.

أنواع التلوث وأضرارها في ضوء القرآن الكريم

إن التلوث هو سبب الاضطراب وخلل البيئة، ويؤثر على حياة الإنسان والحيوان والنبات والجمال، ويهددها بكل جوانبها. وهناك عديد من الأضرار التي تظهر بسبب التلوث وتدمر وتحلك الحياة. فما هي الأسباب لهذا التلوث؟ وما هي الأضرار من ورائه؟، نتعرف عليها في ضوء القرآن.

قال الله تعالى في سورة الروم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾²⁶.

الدلالة الغوية: (ظهر) برز، ظهر الشيء، بدا وأتضح بعد خفاء، تبين وجوده. يعنى هذا الفساد كان مستورا ولكن مع تفاعل الناس بدأ وظهر ولو أن الناس سكتوا عنه لبقى مخفيا.

(الفساد) الاضطراب، والخلل، والجذب، والقحط، والكوارث والفسق، وعدم احترام الأعراف والقوانين. وفي لسان العرب: أخذ المال ظلماً، والجذب ضد صلح²⁷. والجذب يحدث كنتيجة لانقطاع المطر أو حدوث الكوارث الطبيعية التي تفتك بالنبات والحيوان²⁸. وكلمة الفساد تشمل التلوث والتغيرات المناخية وكل شيء جاوز الحد.

(البحر)، الجمع: أنجر وبحار وبحور، الماء الواسع الكثير، ضد البر، يم، وهو مُتسع من الأرض أصغر من المحيط مغمور بالماء المالح أو العذب. (البر) اليابس من الأرض. البحر والبر: الطباقي بينهما. **(بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)** "مجاز مرسل بإطلاق الجزء وهو الأيدي وإرادة الكل"²⁹. **(لِيُذِيقَهُمْ)** "استعارة مكنية، شبه ما يصيبهم من الآلام فيحسون بها بإصابة الطعام حاسة المطعم"³⁰.

تشتمل هذه الآية على تحذير وتدعو الناس إلى الرجوع إلى الإصلاح في الأرض، وترك الفساد البيئي الذي نتج بسبب تجاوزهم الحدود التي خلق الله الأرض عليها.

ذكر الله سبحانه وتعالى أن الناس هم سبب الخلل والاضطراب ونقص الزرع والأنفس والثمرات والتجارات، وقلة المطر، وكثرة الجذب، والقحط، والتصحر، والحرق والغرق، وانتهاء البركات وقلة المنافع. هم اعتدوا على الحقوق والحرمات، واشتغلوا على هذا الفساد حتى انتشر. يعنى كل الناس هم سبب لظهور الفساد ليس فقط المفسدين. كما يقول صاحب الميزان: الإفساد في الأرض بحسب الإطلاق معناه جميع المعاصي والذنوب مما يتعلق بحقوق الله أو بحقوق الناس وكل ما يتعلق بسلب الأمن العام في الأموال والأعراض والنفوس كقطع الطريق ونهب الأموال وهتك الأعراض وقتل النفوس المحترمة³¹. وهو ما يسميه العلماء اليوم بالتلوث البيئي. وقال السعدي في تفسيره: "استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معاشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها"³². وعندما ابتعد الناس عن تعليمات دينه ففتحت أبواب الفساد عليهم. ويمكن إصلاح الفساد فقط بعودة إلى الله تعالى وتصحيح أوضاع حياته. والذين اعتدوا على الحقوق وأكلوا مال الغير بغير حق، فليذيقهم الله جزاء بعض عملهم وسوء صنيعهم من المعاصي والآثام، وحينئذ ربما يرجعون عن غيرهم ومعاصيهم³³.

وقال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾³⁴.

فالآية بعمومها تعم كل فساد كان في الأرض أو المال أو الدين.³⁵ وتشير إلى كل أنواع الإفساد، إذ كل فساد في أمور الدنيا، فمحصور في هذين الأمرين³⁶. "فإهلاك الحرث والنسل كناية عن اختلال ما به قوام أحوال الناس"³⁷. أي يسعى الإنسان في تخريب وفساد هذا النظام المتوازن للأرض. وللتلوث أنواع عديدة التي تضر البيئة والمجتمعات ومن أهمها:

أ - **تلوث الهواء:** إن تلوث الهواء هو انبعاث الملوثات المختلفة في الهواء، مثل مواد كيميائية أو جسيمات مادية أو مركبات بيولوجية. والهواء الملوث يضر الإنسان والحيوان والنبات بل البيئة كلها كما يدخل جسم الإنسان عن طريق الجهاز التنفسي أو عن طريق مسام الجلد أو عن طريق الجهاز الهضمي ويسبب ببعض الأمراض الخطيرة مثل: أمراض الجهاز التنفسي الحادة، وسرطان الرئة، وأمراض القلب وغيرها. والكون الحي يحتاج إلى الهواء الصافي للبقاء على قيد الحياة.

مصادر تلوث الهواء: وهناك العديد من المصادر التي تتسبب في تلوث الهواء يمكن أن تكون مختلفة تمامًا، لكن آثارها مميّزة أيضًا. ومنها:

مصادر متنقلة: (Mobile sources) مثل السيارات، والشاحنات، والحافلات، والطائرات، والقطارات.

مصادر ثابتة: (Stationary sources) مثل محطات الطاقة، ومصافي تكرير النفط، والمنشآت الصناعية، والمصانع.

مصادر مرتبطة بمناطق معينة: (Area sources) مثل المناطق الزراعية، والمدن، ومناطق حرق الأخشاب، والغابات.

مصادر طبيعية: (Natural sources) مثل الغبار الناتج عن حركة الرياح، وحرائق الغابات، والبراكين.

ب - **تلوث الماء:** الماء سائل صافي لا طعم له ولا رائحته. وإذا يحدث أي تغيير في طبيعته ونوعيته وخصائصه يجعله مضرًا وغير صالح للاستخدام لكل من الكائنات الحية التي تعيش على هذه المياه.

ويسبب الماء الملوث بأمراض عديدة مثل: أمراض الجهاز التنفسي، والإسهال، والاضطرابات العصبية، وأمراض القلب والأوعية الدموية، والتهاب الكبد، والسرطان والكوليرا والتيفوئيد. وكذلك يسبب موت الحيوانات المائية، مثل: الأسماك، والدلافين وغيرها.

مصادر الماء الملوث: أ - المصادر تلوث المياه ثابتة مثل: مصانع النفط، مصانع السيارات، مصانع الأغذية، مصانع الأوراق، مصانع الأدوية، مصانع المواد الغذائية.

ب - المصادر تلوث المياه غير ثابتة مثل: المياه السطحية الجارية، وهطول الأمطار، وعمليات تصريف المياه أو تسربها، أو ذوبان الثلوج، وغيرها.

ج - **تلوث التربة:** تلوث التربة هو انتشار مواد كيميائية ضارة وغير مرغوب فيها بالتربة. وهذه المواد تؤثر بالشكل السلبي على من يقوم باستخدام النبات الخارج من هذه التربة، وهي الكائنات الحية المختلفة كالإنسان والحيوان.

ومن أكثر الأسباب الشائعة لتلوثها استعمال الأسمدة الكيميائية وبعض أنواع المبيدات، والأمطار الحمضية، والنفايات المنزلية، والصناعية وغيرها.

حماية القرآن الكريم على محافظة البيئة

خلق الله هذا الكون وسخره للإنسان فيجب عليه حماية بيئته، والمحافظة عليها والابتعاد عن التلوث والتدمير والتخريب. وعليه أن يكون صديقا للبيئة، ويحاول لحلول مشاكلها من التلوث، وتحسين جودتها حتى ينتفع وينعم المجتمع ببيئة آمنة وصالحة وصحية. لأن التلوث يؤدي إلى إحداث أضرار صحية وبدنية على حياة الإنسان والكائنات الحية الأخرى. وقد أشار القرآن الكريم إلى عناصر البيئة وذكر أهميتها وحث الإنسان على محافظتها. ومنها:

أ - **الأرض:** إن الله خلق هذا الكوكب (الأرض) في أسمى صورة جماله وكماله، فيه البر والبحار والجبال والغلاف الهوائي وفيه الصحاري قاحلة والغابات خضراء، ويعيش فيه الإنسان والحيوان. وجعل الله مناسبا للإنسان وسخره له لينتفع به، ويصلحه ومنع عن الإفساد فيه والإضرار به. وهياً للإنسان ليعمر بكل ما ينفعه. وهي البيئة الطبيعية للإنسان والحيوان والنبات. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾³⁸.

أي خلق الله سبحانه وتعالى الأرض ممهدة وجعلها بساطا وذلولاً وقراراً للناس. قال السعدي: "مبسوطة مهياة للانتفاع بها"³⁹. وقال ابن كثير: "بسطةا ومهددا وقررها وثبتتها بالجبال الراسيات الشم الشاخات لتسلكوا منها سبلا فجاجا"⁴⁰. وقال ابن عاشور: "والبسطة ما يفرش للنوم عليه والجلوس من ثوب أو زريبة فالإخبار عن الأرض ببساط تشبيهه بلبغ، أي كالبسطة، ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه بحيث لا يوجع أرجل المشين ولا يقض جنوب المضطجعين، وليس المراد أن الله جعل حجم الأرض كالبسطة لأن حجم الأرض كروي"⁴¹.

كما قال الله تعالى في سورة الملك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ تُشْجَرُونَ﴾⁴².

جعل الله الأرض ساكنة سهلة مسخرة للناس وما فيها من الجبال والعيون والزرور والثمار. فهي صالحة ومناسبة لطبيعة الإنسان حتى ينتفع من مواردها. فامشوا في مناكبها- أى سافروا إلى اقطارها وإلى أرجاءها.

جعل الله تعالى الأرض ساكنة سهلة مسخرة لتحصلوا الانتفاع منها كل ما تعلقت به حاجتكم من الغرس والبناء الحرث، وفيها الجبال والعيون والسبل وفيها المنافع من الثمار والزرور فامشوا في أطرافها واقطارها لطلب الرزق والمكاسب وكلوا من رزقه أي الانتفاع بما فيها من كنوز النعم حتى يستغنوا عن غيرهم في مطعمهم ومشربهم وملبسهم وسائر أمور معاشهم. فجعل سبحانه وتعالى الأرض ومناخيتها صالحة ومناسبة لطبيعة الإنسان حتى ينتفع الإنسان من مواردها.⁴³

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾⁴⁴ (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ) لفائدة والنفع للإنسان، (ما في الأرض جميعا) يعني كل ما في الأرض من الجبال والأشجار والأشجار والزرور والمعادن والحيوانات خلق الله سبحانه وتعالى مسخرة للإنسان ليحصلوا الانتفاع منها. يعني سخر الله البيئة للإنسان لينتفع بها.

وقال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾⁴⁵.

(ما في السموات): من شمس وقمر ونجوم، (وما في الأرض): من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم⁴⁶. ولولا سخرها لا يمكن الحياة على سطح الأرض، فلو اقترب الشمس لأحرقت الناس، ولو ابتعدت لتجمد الناس⁴⁷.

تفيد الآية الكريمة أن كل ما في الأرض وما في السموات مسخر للإنسان. وينتفع الإنسان من المسخرات إذا استخدمها بأسلوب صحيح وقد يضر المسخرات إذا استخدمها بأسلوب خاطئ.

ب - الهواء: إن الهواء أحد المكونات المهمة والعوامل الأساسية للبيئة، وضرورية كل كائن حي إنسانا كان أو حيوانا كان أو نباتا. والهواء نعمة من نعم الله على الإنسان وبدونه لا توجد الحياة على هذا الكوكب. وجاءت كلمة (الرياح) للهواء في القرآن الكريم وللرياح فوائد عديدة. قال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لُوفِجَ فَاَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاةِ مَاءً فَاسْقَيْنُكُمْهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾⁴⁸.

أي أرسلنا الرياح التي تقود السحاب، وتحمل المطر والخير والنفع والبركة، وأنزلنا من السحاب ماء لشربكم ومواشيتكم، وأرضكم وأدخرناه في الأرض لحاجاتكم وما أنتم بقادرين على أخزانه وإخزاره.

"(وأرسلنا الرياح لواقح) السحاب تَمُحُّ الماء فيه فهي لواقح بمعنى: ملقحات وقيل: لواقح: حوامل لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب. (فأسقيناكموه) جعلناه سقياً لكم. (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ) لذلك الماء المنزل من السماء. (بخازنين) محافظين أي: ليست خرائته بأيديكم" 49.

وقال الله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْبَلَتْ سَحَابًا تَقَالًا سَقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ۖ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ 50. الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح مبشرات بنزول الغيث إلى الأرض وهي تحمل سحابا مليء بالماء وإذا ينزل المطر إلى أرض ميتت أي لا نبات فيها ولا مرعى، فاخرجت منها النبات والمرعى. والبلد ميت مراد الأرض التي لا نبات فيها، وأطلق الحياة على الأرض الزاخرة بالنبات والمرعى لأن حياتها بذلك.

ج - الماء: إن الماء أيضا من أهم عناصر البيئة وهو ضرورية لكل ذي روح من الإنسان والحيوانات والجمادات. وذكر القرآن الكريم أهمية الماء ووظيفته للحياة، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۚ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۗ وَاللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ 51.

الماء أصل لكل خلق، والله سبحانه وتعالى خلق منه كل الدواب التي تمشي على وجه الأرض أي أصل كلها الماء. وقال البغوي: "فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات والديدان، ومنهم من يمشي على رجلين مثل بني آدم والطير ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم والسباع" 52. وكذلك الماء ضروري لحياة النبات فقد أحيا الله تعالى به الأرض وعندما يكون الماء صافى ونقى ستكون النبات بشكل جيد. والماء الملوث يضر النبات ويسبب لقلة الغذاء.

وقال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ ۝﴾ 53.

الماء هو سبب إحياء الأرض والمراد به إظهار ما فيها من النبات والأزهار، والتمرات، وغير ذلك مما تنبتة الأرض .

وقال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ۖ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ أَنْظَرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ 54.

أنزل الله من السماء ماء متتابعاً، فأنبت به كل شيء من النبات والثمار المختلفة في الأطعمة والألوان مما يأكل الناس والأنعام، وازال عنهم الجذب واليأس والقحط، وانبث بالماء كل أنواع الأشجار والنبات، والثمار يتمتع بها الناس وذكر الزرع والنخل، لكثرة نفعهما وكونهما قوتاً لأكثر الناس⁵⁵. فالماء ضروري لحياة الإنسان والحيوانات والنباتات ولكن الماء الملوث يدمر الحياة كلها.

د - السماء: السماء هي مصدر الماء، وكذلك مصدر للجمال والزينة للأرض كما أشار إليه القرآن الكريم في سورة النمل: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ۗ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾⁵⁶.

وهي (السماء) السقف المحفوظ الذي يحيط بالأرض من جميع جوانبها ليحميها من الإشعاعات الضارة وليجعل الحياة ممكنة على هذه الأرض. فقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾⁵⁷.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁵⁸.

أي جعل كل ما على وجه الأرض، من المناظر بهيجة والأشجار والأثمار والزرع والثمار والجبال والحيوانات زينة لها. وقد خلق الله تعالى عناصر البيئة في حالة توازن كما خلق كل شيء في الكون بقدر معلوم وموزون. قال الله تعالى في سورة حجر: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾⁵⁹.

(مددنا) بسطناها، (رواسي) جبال ثابتة، (من كل شيء موزون) كالذهب والفضة والجواهر⁶⁰، وأنبتنا في الأرض من كل شيء، وبحد معلوم. و"أن ما أنبته الله في الأرض من النباتات والمعادن متقدر بقدر حاجة الناس إليه وما ينتفعون به فينبت تعالى في الأرض ذلك المقدار وكذلك ينزل سبحانه الماء من السماء بمقدار معلوم"⁶¹.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۗ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ ۗ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ۗ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾⁶².

أي: انظر إلى السماء وتأمل، ليس فيها عيباً، ولا اختلافاً، ولا نقصاً، ولا خلالاً، ولا تنافراً بل هو مصطحب مستو. قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والثوري، وغيرهم في قوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي: شقوق واضطراب. جعل الله تعالى في الأرض الجبال والرواسي والأودية والزرع والثمار بصورة متناسبة، بحيث تتوفر فيه كل معاني الجمال والتناسق. ونهى عن الفساد فيها، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾⁶³.

(الفساد) الخراب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾⁶⁴ يقال: فسد الشيء بعد أن كان صالحاً. وقيل: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان عنه أو كثير⁶⁵. وقال أبو حيان: "الفساد التغيير عن حالة الاعتدال والاستقامة"⁶⁶. وقال: النهي عن إفساد يشتمل على إفساد النفوس والأنساب، وإفساد الأموال والعقول والأديان⁶⁷. ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاح الله إياها، بأن خلقها بأحسن تقويم وعلى أحسن نظام، فالآية الكريمة نعتت عن جميع أنواع الإفساد في الأرض كإفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان، وما أضره بعد الإصلاح⁶⁸ وقد ظهرت الأمراض المهلكة على الإنسان والحيوان والكائنات الحية بالأنشطة الفاسدة للناس. وقال الضحاك: معناه لا تغوروا الماء المعين، ولا تقطعوا الشجر المثمر ضراراً⁶⁹. وقال ابن عاشور: "الإفساد في كلّ جزء من الأرض هو إفساد لمجموع الأرض"⁷⁰.

فخلقت هذه الأرض على نظام متوازن وصلاح، والإنسان هو الذي أشرف المخلوقات على الأرض، خلق الله له ما في الأرض، وعلمه كيف يستعمل ما فيها على نظام صحيح، وتحدث العديدة من الآيات القرآنية عن العلاقة بين القرآن الكريم والبيئة الطبيعية. وقد حثّ القرآن الكريم الإنسان على محافظة البيئة وحمايتها والاستفادة منها دون الحاق الضرر بما فيها، ووضع الأسس والقواعد لحمايتها من التلوث والدمار، وكذلك نهي عن الإفساد فيها بأنشطة خاطئة.

فحماية البيئة تحمي حياة الإنسان، وحياة جميع الكائنات الحية الموجودة على كوكب الأرض. والبيئة النظيفة تحقق للإنسان سعادة بالغة وراحة كبيرة. ودعا الإسلام بتوجيهاته الواضحة للمحافظة على البيئة في البرّ والبحر والجوّ، ونهى عن جميع أنواع الإفساد فيها، وكذلك دعا إلى نظافتها وجمالها وسلامتها، ونقاء كلّ ما هو موجود فيها، ووعد الله الأجر والثواب على الإصلاح.

النتائج:

- إن مفهوم البيئة في القرآن الكريم واسع وشامل ودقيق، وهو يشمل البرّ والبحر والفضاء.
- خلق الله البيئة وجعل التوازن فيها وسخرها لاستغلال وانتفاع الناس.
- من المشكلات البيئية هو التلوث، واستخدام الموارد بدون اهتمام توازن البيئة الذي يؤدي إلى هلاك الأرض وضرر حياة الإنسان.
- اهتم القرآن بالبيئة ووضع للإنسان القواعد والأسس في استخدام عناصرها، وشجّع الإنسان الحفاظ عليها وحمايتها وعدم الإفساد فيها.
- حرم الله الإفساد بجميع صوره لأنه يؤثر في التوازن البيئي ويهدده.

- البيئة أمانة في أيدي الناس، فيجب عليهم التعاون في نظافتها، ومحافظة تربتها ومائها وهوائها من التلوث والتدمير.
- يجب على جميع أفراد المجتمع الوعي الكامل بأهمية المحافظة على البيئة الطبيعية والتقليل من التلوث، والتعاون التام مع عناصرها ومراعاة سلوكياتهم اليومية.

الهوامش

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط/3، 1993م)، ج/1، ص: 36.
- 2 - الحشر - 9.
- 3 - الأعراف - 74.
- 4 - الزمر - 74.
- 5 - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط/1، 2000م)، ص: 730.
- 6 - د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط/2، 1418هـ) ج/24، ص: 64.
- 7 - المائدة - 29.
- 8 - أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي المحقق: عبد الرزاق المهدي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط/1، 1420هـ)، ج/2، ص: 39.
- 9 - آل عمران - 112.
- 10 - إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1984م)، ج/5، ص: 29.
- 11 - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، التاريخ الكبير، (دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن)، ج/6، ص: 292.
- 12 - د. زين الدين المقصود، البيئة والإنسان: علاقات ومشكلات، (الاسكندرية، مصر، منشأة المعارف، 1981م) ص: 7.
- 13 - انظر: عبد المجيد الطريقي، منظور الإسلام إلى المحافظة على البيئة، (المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007م)، ص: 40-41.
- 14 - انظر: رجاء وحيد دويدري، البيئة، مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، (سوريا، دار الفكر، دمشق، ط/1، 2004م)، ص: 25.
- 15 - رجاء وحيد دويدري، البيئة، مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، ص: 25.

- 16 - انظر: ياسين عبد الله المنزلاوي، البيئة من منظور إسلامي، (عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط/1، 2008م)، ص: 22.
- 17 - الأعراف - 10.
- 18 - هود - 61.
- 19 - انظر: رجاء وحيد دويدري، البيئة، مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، ص: 25. وانظر: رشاد أحمد عبد الطيف، البيئة والإنسان من منظور اجتماعي، (الإسكندرية، دار الوفاء، ط/1، 2007م)، ص: 84.
- 20 - إسماعيل عبد الفتاح الكافي، المفاهيم والمصطلحات البيئية، قاموس، (مصر، دار الثقافة للنشر، ط/1، 2007م)، ص: 37. وانظر: رجاء وحيد دويدري، البيئة، ص: 27.
- 21 - سوزان أحمد أبو رية، الإنسان والبيئة والمجتمع، (مصر، دار المعرفة الجامعية، 2008م)، ص: 16. وانظر: إبراهيم خليفة، المجتمع صانع التلوث، (الأردن، دار السعيد للنشر، 2001م)، ص: 69.
- 22 - انظر: الشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، (بيروت، لبنان، مؤسسة علوم القرآن، 1978م)، ص: 607.
- 23 - انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (الإسكندرية، دار الدعوة، 2021م) ج/2، ص: 844.
- 24 - انظر: د. خالد مصطفى فهمي، الجوانب القانونية لحماية البيئة من التلوث في ضوء التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية (دراسة مقارنة) (الإسكندرية مصر، دار الفكر الجامعي، ط/1، 2011م) ص 35.
- 25 - انظر: د. منى قاسم، التلوث البيئي والتنمية الاقتصادية، (الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999م)، ص: 35.
- 26 - الروم - 41.
- 27 - انظر: ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر)، ج/3، ص: 363. والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: محمد خليل، (بيروت، دار المعرفة، ط/3، 1422هـ)، ص: 381.
- 28 - انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط/8، 2005م)، ج/1، ص: 306.
- 29 - د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج/21، ص: 97.
- 30 - الشيخ محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية، 1984هـ)، ج/21، ص: 113.
- 31 - العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، (بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات، 1997م)، ج/8، ص: 222.
- 32 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج/1، ص: 643.
- 33 - انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج/21، ص: 98، وانظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، (دمشق، دار الفكر، ط/1، 1422م) ج/3، ص: 2005.
- 34 - البقرة - 205.
- 35 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/2، 1964م)، ج/3، ص: 18.

- 36 - انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1، 1422هـ)، ج/1، ص: 280.
- 37 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/2، ص: 270.
- 38 - نوح - 19
- 39 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج/1، ص: 889.
- 40 - أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط/1، 1419هـ)، ج/8، ص: 247.
- 41 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/29، ص: 205.
- 42 - الملك - 15.
- 43 - انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط/1، 1998م)، ج/15، ص: 19.
- 44 - البقرة - 29.
- 45 - الجاثية - 13.
- 46 - انظر: د. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج/25، ص: 261. والقرطبي: ج/14، ص: 73.
- 47 - انظر: أحمد مصطفى متولى، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، (القاهرة، دار ابن الجوزي، ط/1، 2014م)، ص: 29.
- 48 - الحجر - 22.
- 49 - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، دار القلم، ط/1، 1415هـ)، ج/1، ص: 590.
- 50 - الأعراف - 57.
- 51 - النور - 5.
- 52 - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ج/6، ص: 55.
- 53 - النحل - 65.
- 54 - الأنعام - 99.
- 55 - انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج/1، ص: 267.
- 56 - النمل - 60.
- 57 - الأنبياء - 32.
- 58 - الكهف - 7.
- 59 - حجر - 19.

- 60 - انظر: الواحدى، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج/1، ص: 590.
- 61 - الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، تفسير الرازي، ط/1، 1981م)، ج/27، ص: 169.
- 62 - الملك - 3.
- 63 - الأعراف - 56.
- 64 - النمل - 34.
- 65 - انظر: الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 632، انظر: المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم - نبيل هارون، (وزارة التربية والتعليم المصرية، 1994م)، ص: 156.
- 66 - انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (بيروت، دار الفكر، 1420هـ)، ج/5، ص: 70.
- 67 - يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، (القاهرة، دار الشروق، ط/1، 2001م)، ص: 52.
- 68 - انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ج/5، ص: 289.
- 69 - انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج/2، ص: 410.
- 70 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/8، ص: 174.